ظاهرة تستحق الدراسة

لماذا يفرح الطلاب حين ينتهي العام الدراسي؟!

أثناء زياراتي التوجيهية للملتحقين بإحدى دورات الإدارة المدرسية، توجهت مع زميل لي لزيارة بعض المتدربين في إحدى مناطق القطاع، وحين انعطفنا يمينا متجهين إلى منطقة تجمعت فيها ست مدارس، هالنا ما رأينا، حيث إن الطريق الممتد من وسط المعسكر حتى منطقة المدارس (1 كم) كانت مغطاة باللون الأبيض، معذرة إنها لم تكن مطلية باللون الأبيض امتثالا لقيمة حضارية للحفاظ على نظافة البيئة جماعيا، بل كانت مفروشة بأوراق الكراسات البيضاء التي مزقها الطلاب احتفالا باتهاء يوم دراسي. همس زميلي قائلاً : إنه موضوع مناسب لرسالة ماجستير أو دكتوراه، وهنا قفزت في ذاكرتي القصة التالية والتي رويتها لزميلي : كان قد دعاني وزميلة فلسطينية معي أحد الأساتذة في الجامعة التي كنا ندرس فيها في الولايات المتحدة لتناول طعام العشاء في منزله، وبعد العشاء جلسنا نتجاذب أطراف الحديث عن التعليم في فلسطين و الولايات المتحدة وخبرة كل منا في ذلك.... وفجأة قفز مضيفنا وتسلل بهدوء إلى مكتبه وعاد يحمل مجموعة كراسات، راح يقلب صفحاتها مبينا لنا أماكن تفوقه واخفاقاته..انه يعتبرها جزء من وثائق عمره ... عفوا إنني إذ أروي هذه القصة ليس انبهارا بها بل لتكون عبرة قد يستفاد منها.

وبعد مناقشة هذه الظاهرة مع زملائي في دائرة التربية والتعليم بغزة، اتضح لنا أنها ليست مقتصرة على هخ المدارس فقط، بل أنها منتشرة في مدارس أخرى... وأمام مدارس الذكور دون مدارس الإناث. انه لأمر مؤلم حقا أن يعتبر أبناؤنا المدارس كما السجن، وبانتهاء العام الدراسي، يشعر الطلاب وكأنهم سجناء قد تحرروا من سجنهم، وللاحتفال بذلك يمزقون دفاترهم بدل الاحتفاظ بها.

إن هذه الظاهرة تشير بوضوح إلى كره التلاميذ للمدرسة ونظرتهم السلبية إليها، قد لا نكون مخطئين إذا قلنا إنها تشير إلى تعثر نظامنا التعليمي وعجزه عن تلبية حاجات التلاميذ واهتماماتهم. وهناك ظاهرة أخرى وهي أقل أهمية من السابقة ذلك أن بعض الطلاب الذين لهم مشاكل مع زملائهم أثناء العام الدراسي يعملون على تصفية حساباتهم مع بعضهم البعض في آخر يوم من الدوام المدرسي، لشعورهم بأن قانون المدرسة لم يعد قائماً وهذا في حد ذاته يمثل مدى الكراهية للمدرسة وعدم الولاء لقوانينها حال مغادرتهم إياها.

والسؤال المطروح لماذا وكيف تولدت هذه الظاهرة؟ مما لا شك فيه أن هناك أسباباً عدة تراكمت وأدت إلى بروز هذه الظاهرة ويمكنني ذكر أهمها فيما يلي:

- الشعور بعدم الانتماء للمدرسة حيث يشعر الطلاب بأنهم مجبورون على الذهاب إلى المدرسة، وهناك فجوة بين رغباتهم وواقع المدرسة. ويشعر الطلاب أن علاقتهم بالمدرسة تنتهي حال مغادرتهم أياها. وإن عادوا بعد الدوام تطاردهم عصا آذن المدرسة وحارسها. فلماذا لا تكون في المدرسة أندية مسائية ولو ليومين أسبوعياً يمارس الطلاب فيها أنشطة مرافقة للمنهاج حسب ميولهم ورغباتهم.
- طبيعة العلاقة مع المعلم في غرفة الصف وكيفية تعامله مع طلابه، إذ يلجأ بعض المعلمين إلى أشكال مختلفة من العقاب، وترفُع عدد من المعلمين عن النزول إلى مستوى طلابهم.
- استخدام بعض المعلمين لإسلوب العقاب البدني لفرض النظام والانضباط في المدرسة.
- الروتين الممل للحياة المدرسية وعدم تنويع الأنشطة

لتناسب المستويات المختلفة للطلاب في مراحل نموهم.

- تمركز المعلمين حول تعليم المادة أو الموضوع واعتبار ذلك هو الأساس في عملهم مع إهمال ميول ورغبات المتعلمين بدلاً من تلبيتها وإشباعها.
- ازدحام الصفوف (ما يزيد على 50 طالباً في الصف الواحد) وما ينتج عن ذلك من إشكالات في سير عملية التدريس ومحاولة المعلم ضبط النظام الصفي بكل السبل.
- حالة الاغتراب وبعد المناهج عن واقع الطلاب وعدم تلبيتها للحاجات المختلفة لديهم.
- كثير من الطلاب يأتون للمدرسة من مناطق جغرافية مختلفة مما ينعكس على طبيعة العلاقة بين أولياء الأمور والمدرسة، ومتابعة أولياء الأمور لتحصيل أبنائهم. إن هناك تردداً بشكل عام في الحضور إلى المدرسة من جانب أولياء الأمور، لاعتقادهم أنهم مدعوون إما لسماع شكوى حول قصور أبنائهم التعليمي أو سلوكهم السلبي أو لطلب تبرع للمدرسة.
- المشاكل الاقتصادية والاجتماعية واضطرار بعض الطلاب للعمل بعد ساعات الدوام المدرسي، وهنا تتولد النظرة إلى المدرسة بأنها شيء ثانوي أمام العمل الذي يمارسه الطالب لسد حاجة أسرته.
- عدم احترام عدد من المعلمين لشخصية الطالب ويتمثل ذلك في استخدام السُباب أحياناً وتحقير الطالب إذا أخطأ والاستهزاء به أمام زملائه.
- استخدام عدد من المعلمين طرقاً تقليدية في التدريس تخلو من الإثارة وتحفيز التلاميذ على التعلم وتحدي تفكيرهم وحثهم على البحث والتنقيب.
- عدم اهتمام كثير من المعلمين بحصص التربية الرياضية والتربية الفنية واعتبارها حصصاً كمالية وراحة للمعلم، بالرغم من أهميتها البالغة في حياة الطلاب وتحبيبهم في المدرسة.
- نظام الترفيع الآلي المتبع في مدارسنا مما يؤدي إلى الضعف التراكمي عند الطلاب، وبازدياد ترفيع الطالب يزداد إدراكه لضعفه وكراهيته للمدرسة.
- عدم التوظيف الفاعل للملاعب الرياضية وغرف النشاط والمختبرات العلمية والوسائل التعليمية في المدارس، وتغليب الجانب النظري على الجانب العملي في التعليم وتجاهل أن معظم التلاميذ يستمتعون بالجانب العملي والتطبيقي أكثر من استمتاعهم بالجانب النظري.
- وجود أكثر من مجال يستقطب اهتمام الطلاب ويقلل من اهتمامهم بالعلم والتعليم مثل التلفاز بمحطاته الفضائية المتعددة، المباريات الرياضية، المسابقات وألعاب الكمبيوتر... إنني أدرك أهمية ذلك للنواحي النمائية للتلميذ ولكنني أرى ضرورة تنظيم وقت التلميذ بين الدراسة وعمل الواجب البيتي واللعب والتسلية.
- قلة الدافعية للتعليم عند الطلاب نتيجة ما يرونه من قلة فرص العمل المتاحة أمام آلاف الخريجين الذين لم يجدوا فرص عمل بعد، وقلة حث أولياء الأمور لأبنائهم على الدراسة بسبب الإحباط الناتج عما سبق ذكره.

إنني قصدت كتابة هذه المقالة في هذا الوقت بالذات والذي يتزامن مع صدور العدد الرابع من مجلة رؤى تربوية (إبريل 2001) والقريب من نهاية العام الدراسي حتى أضع تلك الأسباب التي أدت إلى ظهور هذه الظاهرة أمام كل حريص على العملية التربوية وخاصة المعلمين منهم، وكلي أمل أن نبدأ العمل سوياً وأن نغير ما استطعنا من الأسباب التي تقود إلى ولادة هذه الظاهرة غير الحضارية والتي لا تتماشى مع ثقافة شعبنا العربي الفلسطيني الذي يتمتع بأعلى نسبة من التعليم بين دول المنطقة... ورحلة الألف ميل تبدأ بالنية والإرادة.

محمد أبو ملوح، مركز القطان – غزة